

نهج الاعتزال

في الاتجاهات الفكرية المعاصرة

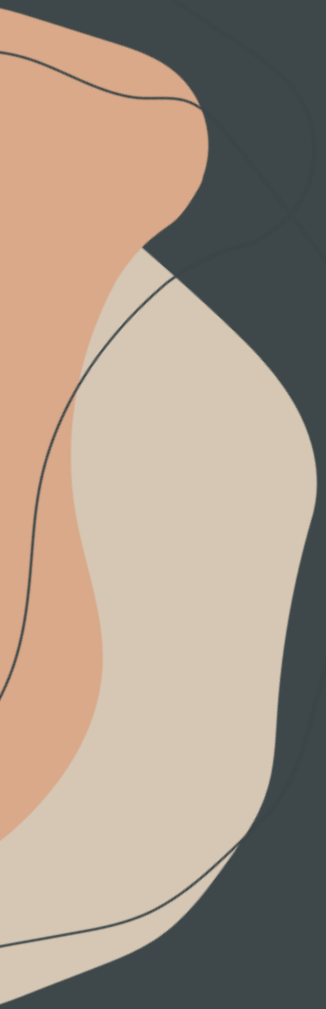
د. ظافر سعيد شرقه

إعداد مركز رسيل للاستشارات التربوية والتعليمية



المقدمة

أحيا الله تبارك وتعالى بمنهج السلف الصالح ما اندرس من
سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في زمن عز فيه العلم
واستطال الكفار، فعصفت بأمم الأرض مذاهب شتى ومقالات
سوء طبعت على فكر من قصر من المسلمين في فقه الكتاب
والسنة، فخالف الشرع، وتناول على نصوصه المُحكّمات تحت
شعار حرية الرأي والاجتهاد، وعظّم من أثر الفرق المنحرفة في
تقدم الفكر الإنساني، مع التهوين من مسائل النزاع مع
الطوائف الضالة، والاعتراض على تضليلهم وتبديعهم.



ومما يبين ضرورة الاهتمام
بدراسة هذا الاتجاه في
العصر الحديث:

١

إنزلاق المحسوبين على
هذا الاتجاه إلى مزالق
عقدية خطيرة، ثم يراد لهم
أن ينالوا من التصدير
والتفخيم ليغتر بهم
العامة.

٢

مواكبة هذا الاتجاه في
أطروحاته للتوجه العالمي
الذي يسير نحو العولمة،
والتي ترمي إلى طمس
الخصائص العقدية
والتشريعية للمجتمع المسلم.

٤

ظهور الدراسات المفتقرة
للمنهج العلمي حول أصول
بعض الفرق ومناهجها
كالمعتزلة، وما نتج عن ذلك
من تمرير لمفاهيم خاطئة.

٣

ما يحظى به هذا الاتجاه
من تشجيع بعض الدوائر
الغربية من أجل فرض قيم
التنوير والحداثة والعصرنة
على مجتمعات المسلمين
حسب رؤيتهم.

٦

اهتمام أصحاب الاتجاه
العقلي بنشر مقالات فرقة
المعتزلة وتحقيق كتبهم
والترويج لها.

٥

وقوف أصحاب هذا الاتجاه
ضد من يخالف منهجهم من
أتباع منهج السلف والتشنيع
عليهم.

الحاجة الماسة إلى إحياء
المنهج الشرعي في الموقف
من أهل البدع، ونشر الوعي
بالكتاب والسنة.

إن بعض العاملين في الميدان الفكري والدعوي كانت لهم مواقف مختلفة في موضوع الافتراق والموقف من الفرق، فلقد عدَّه بعضهم من المقاصد التي أرادها الله سبحانه وعظّموا أثر تلك الفرق -وعلى رأسها المعتزلة- في تقدّم الفكر الإسلامي، وأبرزوا رؤوس المعتزلة ومن على شاكلتهم بصفاتهم أعلام التجديد والاجتهاد دون ذكر ما نتج عن بدعهم من آثار وخيمة.

ولما كانت هذه الآراء رائجة في أوساط بعض المنتسبين للفكر والدعوة فقد هدفت هذه الدراسة إلى تحرير تلك المواقف والمعتقدات ونقدها بميزان أهل السنة والجماعة، والكشف عن حجم المحاولات التي يبذلها دعاة التنوير والعقلانية عبر كتاباتهم ومؤتمراتهم لإحلال الهوى محل الوحي تحت مزايم التجديد والإصلاح.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية:

سيحرص الباحث على ما
كُتِبَ في الخمس
والعشرين سنة الماضية
رغبة في التركيز وعدم
التطويل.

الحدود الموضوعية:

سيقتصر البحث على
موقف الاتجاه العقلي
الإسلامي المعاصر من
فرقتي المعتزلة.

أهداف البحث:

١ التعرف على أبرز معالم الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر في موقفه من المعتزلة.

٢ بيان أهم الأسس والمنطلقات التي شكّلت موقفهم من أصولهم وعقائدهم.

٣ بيان جوانب الخلل في موقفهم من المعتزلة في ضوء منهج أهل السنة والجماعة.

٤ التعرف على نتائج هذا الموقف وما يؤول إليه.

التمهيد

التعريف بالاتجاه العقلي

الإسلامي المعاصر

أولًا:

أحوال العالم الإسلامي قبيل ظهور
الاتجاه العقلي الإسلامي الحديث.

عانى معظم العالم الإسلامي في القرنين الماضيين
من التخلف والتراجع في جوانب متعددة، من أهمها:

1. الميدان الديني:

وقع الانحراف في مفهوم الإيمان؛ وانتشر الفكر
الإرجائي الذي يُخرج العمل من مسمى الإيمان،
وأصبح التوحيد عند كثير من المسلمين هو فقط
إثبات وحدانية الخالق، وأنه لا شريك له في الربوبية،
فُصرت العبادة لغيره سبحانه، ووقع الانحراف في
عقيدة القضاء والقدر، فُفهم على أنه الرضا بذلك
الواقع المنحرف والاستسلام له.

2. التقاعس في الأخذ بأسباب القوة المادية:

ظهر الأثر السيئ للفرق الضالة، فالاتجاه الصوفي أهمل عمارة الأرض وتنميتها، وتكاسل الناس عن تنظيم حياتهم وانعدمت الرغبة تماماً في أي إبداع حضاري مادي وتنظيمي.

وأمام التسارع الكبير في تقدم الغرب تولدت قناعة لدى بعض الزعماء بضرورة الأخذ عن الدول المتقدمة؛ فحرص بعضهم على إرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا، واستقدموا الأساتذة الغربيين للتدريس في المعاهد العلمية، ولم تخل تلك المحاولات من تبعات سلبية ساهمت في تغريب المسلمين خاصة مع المأزق الشديد الذي وقع فيه بعض أهل الفكر ودعاة الإصلاح بين زخرف الحضارة الغربية وتعاليم الدين، فرأوا أن لا سبيل إلى تحقيق الحضارة إلا بالتوفيق بينهما، وانزلقوا في مخالفات شرعية خطيرة.

3. مجال التعليم:

ظهر في كثير من بلاد المسلمين الخلل في تدريس العلوم الدينية خاصة؛ حيث أصابتها الرتابة والجمود، وتحولت قضايا العقيدة إلى معضلات ذهنية ومجادلات فلسفية عند الخاصة، ومزيج من الخرافات والأساطير عند العامة. ومن الخلل أيضا تعطيل الاجتهاد وأثر ذلك في تأخر الأمة.

بداية ظهور هذا الاتجاه:

يمكن تحديد بداية هذا الاتجاه منذ قرنين تقريباً، في الفترة التي ظهرت فيها دعوة الشيخ محمد عبده –المؤسس الأول للاتجاه العقلي في العصور المتأخرة- وقد رفعت دعوته شعار التجديد في الدين، ومارست أسلوب تقريب أحكام الإسلام من المدنية الغربية، وخاضت غمار التأويل في كثير من نواحي الدين.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

1. أصحاب المنهج السلفي:

يرى أصحابه أن سبب تخلف المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وشيوع البدع والخرافات بين الناس، وقد جعلوا على رأس أهدافهم تنقية الدين مما ألحقته به الطوائف الضالة من تعقيدات وبدع، والعودة إلى منابع الإسلام الأولى وفق فهم السلف الصالح، وقد تمثل هذا المنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

٢. أصحاب المنهج التغريبي:

الذين جعلوا الاقتداء بالغرب وحضارته الفكرية
والمادية منطلقاً في محاولتهم التغيير والنهوض
بأوطانهم وشعوبهم، وتجاهلوا الإسلام بالكلية، من
أمثال كمال أتاتورك من الزعماء، ومن أمثال طه حسين
من المفكرين.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

٣. أصحاب المنهج التلفيقي:

يجتهد أصحابه في إضفاء الشرعية على كثير من مظاهر الحضارة الغربية، ومحاولة التوفيق بينها وبين الدين، معتمدين على مكونات تاريخ المسلمين، وتوسيعهم لمفهوم التراث الإسلامي ليشمل الآراء الشاذة ومقالات الفرق الضالة، وعلى رأسها المعتزلة التي يثنون على مناهجها ويدافعون عنها، مع اعتماد أكثرهم على دراسات المستشرقين، ويمثل هذه الفئة الاتجاهات التي تقدم العقل على النقل، ومن أبرز رواد هذا الاتجاه الشيخ محمد عبده.

مراحل ظهور الاتجاه العقلائي الإسلامي المعاصر

المرحلة الأولى:

بدأت مع اتصال المسلمين بالحضارة الغربية عن طريق البعثات التعليمية التي تأثر أصحابها بما شاهدوه في المجتمعات الأوروبية، ثم عادوا بأفكار جديدة لا تتفق مع المفاهيم الإسلامية.

شهدت انشغالاً بمظاهر المدنية الغربية، ومهدت لمن بعدها أن ينظر في تراث المسلمين نظرة المرتاب المغلوب، الذي ظن أن بلاءه في التزامه بنصوص الشريعة، مع وجود محاولات لإبراز بعض آراء المعتزلة التي تتفق مع الثقافة الوافدة، وظهرت آراء جديدة شغلت الفكر الإسلامي كالقومية والوطنية والحرية وعمل المرأة ومنع تعدد الزوجات والاختلاط وغيرها.

المرحلة الثانية:

أصبح تأثير الحضارة الغربية يظهر أكثر قوة وفاعلية في بلاد المسلمين، كما أن نفوذ الاستعمار الغربي قد تغلغل، وكانت أعظم وسيلتين اعتمد عليهما المستعمر هما: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام.

وللمستشرقين الذين تعاونوا مع الاستعمار
جهد خطير؛ حيث دأبوا على تشويه صورة
الإسلام والتشكيك فيه من خلال:

٢

الزعم بأن الإسلام هو
ظاهرة يجب أن تدرس
في إطارها الزمني المحدد
وليس له علاقة بالواقع
المعاصر.

١

الطعن في حقيقة
الإسلام والقرآن والنبوة،
وهدم هيبتهما في
نفوس المسلمين.

٤

بَعث الحركات الهدامة
والطوائف الضالة،
وتضخيم أدوارها
وإلباسها لباس التطور
والتقدمية والثورية وعلى
رأس ذلك المعتزلة.

٣

الزعم بأن الإسلام
طقوس وشعائر روحية،
لا دخل له بأمر الحكم
والاقتصاد، وسائر جوانب
الحياة.

فحمل بعض المنهزمين على عاتقهم في هذه المرحلة تطوير الإسلام لكي يوافق الحياة العصرية عن طريق استنباط أحكام تتوافق مع متغيرات العصر، وتعطيل ما رأوا أنه لا ينسجم مع المدنية الحديثة تحت شعار التجديد أو الاجتهاد. وهذا ما حدث على يد سيد أحمد خان في الهند وعلى يد محمد عبده ومدرسته في مصر.

الشيخ محمد عبده

تأثر بفكر جمال الدين الأفغاني الذي كان له اهتمام بالفلسفة وعلم الكلام والفرق، وصار محمد عبده فيما بعد إماماً لمدرسة ضمت طلابه والمتأثرين بفكره، وعرفت بـ(المدرسة العقلية الحديثة).

وقد أفرز هذا التأثير من عبده بالأفغاني توافقهما في ضرورة التحرر من قيود النص في كثير من قضايا الدين، والعمل بمنطق العقل على طريقة الفلاسفة والمتكلمين، وسار تلاميذ محمد عبده والمتأثرين بهم على طريقته في تطويع النصوص لمسايرة الواقع والمدنية الغربية، مستعينين في ذلك بالمنهج التأويلي الذي يُعد المعتزلة من أبرز رواده.

المرحلة الثالثة:

تعد استمراراً للمرحلة التي قبلها وحتى يومنا، وأصحابها يجددون آراء من سبق ويعرضونها بقوالب جديدة. وتتميز هذه المرحلة عن سابقتها بما يلي:

تحقيق كثير من مصادر المعتزلة والفرق الضالة الأخرى ونشر الدراسات التي تضخم من أثرها في النهضة والإصلاح.

زيادة الترجمة للكتب والدراسات الغربية، وظهور مؤلفات المستشرقين ودراساتهم حول المعتزلة.

التطور الكبير في عالم الاتصالات ونقل المعلومات.

تبني بعض جماعات الدعوة، ومؤسسات فكرية ذات طابع إسلامي لهذا الاتجاه، ودعوتها إليه، ودعمها له، وتشجيعها عليه.

من أمثلة الجماعات التي ساهم
بعض رموزها في تعزيز هذا الاتجاه:

١. جماعة الإخوان المسلمين:

أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨م، ومن بعض
المآخذ على طريقة رموز الجماعة: الاضطراب في
فهم حقيقة التوحيد، وغيابه عن الخطاب الدعوي،
ووقوع بعضهم في أخطاء عقديّة تتعلق بتوحيد
الألوهية والأسماء والصفات، ومفهوم الإيمان،
وأحاديث الأحاد، والموقف الشرعي من البدعة.

وكذلك القول في الجماعات المتفرعة عنها، حيث كان التأثير بمنهج المعتزلة واضحاً على بعض مؤسسيها، كالجبهة الإسلامية القومية في السودان التي أسسها حسن الترابي، وحركة الاتجاه الإسلامي في تونس، والتي أسسها راشد الغنوشي والمعروفة باسم حزب النهضة.

٢. حزب التحرير:

أسسه تقي الدين النبهاني عام ١٩٥٢م، ومن أهم ملامحه الفكرية: أن أول واجب على جماعة المسلمين هو إقامة دولة الإسلام عن طريق الثورة الفكرية السياسية، وبعث بعض عقائد الفرق الضالة وعلى رأسها المعتزلة، ووقوعه في آراء فقهية شاذة.

من المراكز والمؤسسات الفكرية
التي شجعت على انتشار الاتجاه
العقلي الإسلامي المعاصر:

١. المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

تأسس في واشنطن عام 1401هـ، وهو مؤسسة فكرية علمية، تعمل في ميدان التغيير الفكري والمعرفي، وتنفيذ مشروعات الأبحاث وعقد المؤتمرات والندوات، ونشر الكتب، ويُعلن أنه عندما يتعامل مع مصادر التراث الإسلامي والمعرفة الإنسانية المعاصرة فإنه غايته هي بلورة تيار فكري إسلامي متميز يُمهّد لاستعادة قدرة الأمة على العطاء الحضاري وتوجيه التقدم الإنساني.

٢. مركز دراسات الوحدة العربية:

يوظف المركز هذا المنهج في خدمة اتجاهه القومي، كما أنه يهتم بكتب ومؤلفات كثير من أصحاب الاتجاهات العقلية، وعلى رأسهم د. محمد عابد الجابري.

تنبیه

هذه الدراسة تركز على الفكرة والمنهج، ونقاط الاتفاق بين الأخذين بهذا المسلك، مع تأكيد التفاوت والاختلاف في اعتماد هذا المنهج، ومن أجل تقريب صورة التفاوت في مساحة توظيف العقل وتقديمه على النص، ومدى تأثير أصحاب هذا الاتجاه بمناهج المعتزلة ونحوهم، أشير إلى نماذج معاصرة تفاوتت في أخذها بهذا المنهج:

الشيخ محمد الغزالي

الدكتور محمد عمارة

الدكتور حسن الترابي

جمال البنا

أصحاب ما يسمى باليسار الإسلامي من أمثال: محمد عابد الجابري، وحسن حنفي، ومحمد سليم العوا وغيرهم


تعريف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر:

هو الاتجاه الذي يقدّم العقل على النقل، ويجعل العقل مصدرًا من مصادر الدين ومحكمًا في النصوص، مع رفعه شعار الإسلام، ويطلق على أصحابه أيضًا: أصحاب المدرسة العقلية، أو العصرانيين، أو التنويريين.

إضافة قيد (الإسلام) على الاتجاه العقلي المعاصر
لتمييزه عن الاتجاهات التي نشأت في رحم
حضارات وأديان أخرى، ولاستبعاد من هم امتداد
للاتجاهات الأوروبية داخل بلاد المسلمين من
العلمانيين.

الفصل الأول

التعريف بالمعتزلة وموقف
أهل السنة والجماعة منهم

A large, teal-colored abstract shape with a thin black outline, located on the left side of the page. It has a rounded, organic form with a slight indentation at the top.

المبحث الأول التعريف بالمعتزلة

المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت في البصرة في
أوائل القرن الثاني الهجري على يد واصل بن
عطاء وعمرو بن عبيد، وقد كانا يحضران مجلس
الحسن البصري، ووافق ظهورها أواخر العصر
الأموي، وازدهرت في العصر العباسي.

اعتمد المعتزلة منهجًا عقليًا صرفًا في فهم العقيدة الإسلامية، وقرروا أن المعارف كلها عقلية، حصولًا ووجوبًا قبل الشرع وبعده، مستعينين ببعض الفلاسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

أسماء المعتزلة:

أطلق على المعتزلة أسماء مختلفة، منها ما أطلقه عليهم خصومهم نكاية بهم، ومنها ما أطلقوه على أنفسهم، ومن تلك التسميات:

المعتزلة

الويعيدية

القدرية


الجهمية

أهل
التنزيه

أهل
العدل
والتوحيد

المعطلة

المعتزلة الأوائل رضوا باسم المعتزلة على وجه الافتخار والتباهي، وتَسَمَّت جماعة أحمد خان في الهند بالمعتزلة الجدد، وأطلق بعض الباحثين اسم المعتزلة على مدرسة الشيخ محمد عبده لتأثرها الشديد بهم، وتشابههما في كثير من المبادئ، وتبنيهم كثير من عقائدهم، ودعوة بعضهم إلى منهجهم.



المبحث الثاني

موقف أهل السنة

والجماعة من المعتزلة

أجمع علماء السلف على ضلال مناهج أهل
الكلام وعلى رأسهم المعتزلة، وأقوالهم
في ذمهم والتحذير منهم يصعب
حصرها، منها ما يلي:

١. أقوالهم في ذم
أهل الكلام عمومًا،
ويدخل فيهم
المعتزلة، بل إنهم
أولى من ينالهم الذم.

منها قول الإمام الشافعي
رحمه الله: (كل من تكلم
بكلام في الدين، أو في
شيء من هذه الأهواء،
ليس له فيه إمام متقدم
من النبي -صلى الله عليه
وسلم- وأصحابه؛ فقد أحدث
في الإسلام حدثًا..).

٢. أقوالهم في ذم المعتزلة على وجه التعيين.

منها تشبيه ضلالهم بضلال
أهل الكتاب، وهذا غاية في
التنفير منهم، يقول ابن أبي
العز -رحمه الله-: (قال طائفة
من السلف: من انحرف من
العلماء ففيه شبه من اليهود..
فلهذا تجد أكثر المنحرفين من
أهل الكلام، من المعتزلة
ونحوهم، فيه شبه من
اليهود...).

٣. أقوالهم في ذم
رؤوس المعتزلة.




منها قول البغدادي عن
النظام المعتزلي: (دخل
الفساد على عقيدة النظام
– هو من رؤوس المعتزلة –
من خلاطهم من الزنادقة
والفلاسفة وغيرهم).

وذم السلف للمعتزلة لا ينحصر في أفرادهم الذين عاصروهم، بل يطال كل من سلك منهجهم، أو دعا بدعواهم، وكثيراً من أصحاب الاتجاه العقلي يرفضون كلام أهل العلم في أهل الأهواء، ويُغالطون الحقيقة والمنطق والتاريخ حين يمجّدونهم، وحين يرفضون أن يمسهم أحد بتبديع أو تضليل أو تنفير.

الفصل الثاني

موقف الاتجاه العقلي من أعلام
المعتزلة وأسباب احتفائهم بهم



المبحث الأول
مصادر الاتجاه العقلي في
دراسة المعتزلة
ومنهجهم في الأخذ عنها

أهم المصادر التي اعتمد عليها الاتجاه العقلي في دراسة المعتزلة:

٢

ما كتبه الطوائف عن
نفسها أو عن
خصومها، أو ما رواه
الأخباريون من أحداث
تاريخية لا تثبت.

١

دراسات
المستشرقين.

دراسات المستشرقين

كثير من المستشرقين لم يكونوا يدرسون تاريخ الإسلام كوحدة متكاملة، وإنما ينتقون للدراسة ما يوافق أهواءهم ويحقق أهدافهم، وهو ما جعل اهتمامهم يتركز في الجانب السلبي من تاريخ الأمة المتمثل في الفرق المبتدعة.

مظاهير التحيز الاستشراقي للمعتزلة تتلخص في النقاط التالية:

١

التحيز الواضح إلى مقالاتهم المبتدعة في الدين، وتبريرها، مع إظهار أصحابها في ثوب الاعتدال.

٢

تلميع أعلام المعتزلة وإبرازهم في ميدان الفكر والنسك.

٣

الاعتذار عن عقائدهم ومواقفهم التي كشفت عن ضلال فرقتهم، ومحاولة الستر على طوامهم.

٤

التشكيك في أمانة علماء أهل السنة ونزاهتهم في النقل، واتهامهم بالتعصب ضد المعتزلة.

أما انتصار بعض أصحاب الاتجاه العقلي للمستشرقين
لا سيما في موضوع المعتزلة والفرق المنحرفة
يتلخص في الآتي:

١

تضخيم الأثر السياسي في
نشأة المذاهب والفرق
الدينية المختلفة، مع
إلباس الفرق المنحرفة ثوب
النضال والجهاد والعدالة
الاجتماعية.

٢

تمجيد رؤوس البدعة،
وحملهم على مناوئتهم من
علماء أهل السنة، وحاول
بعضهم أن يبرز رؤوس
المعتزلة والخوارج ومن على
شاكرتهم بصفتهم أعلام
التجديد والاجتهاد.

٣

اللاقتباس عنهم والتقليد
لهم في نقدهم لمنهج
أهل السنة.

٤

الأخذ بأقوال المستشرقين في مسائل
الدين، ومن ذلك نفي المعجزات عن النبي
صلى الله عليه وسلم إلا معجزة القرآن،
والزعم بأن فكرة المهدي والدجال ونزول
عيسى عليه السلام مستمدة من المسيحية،
والقدح في الصحابة وعدالتهم، وهذه
الآراء والطعون سبق إليها المعتزلة.

ملاحمة منهجه أصحاب الاتجاه العقلي في الكتابة حول المعتزلة:

الإعراض عن الكتاب والسنة في نقد
المقالات والحكم عليها، واستبدالهما
بمصادر مفتقرة إلى الموضوعية،
ككتابات المستشرقين، وأصحاب
الفرق في تأريخهم لفرقتهم.

التأثر باتجاهات ومذاهب الفكر الغربي، ومناهج البحث الأوروبية التي لا تسلم بمقتضى الوحي أصلاً، كالمنهج المادي، بالإضافة إلى عدم فهمهم للمنهج السلفي الأصيل مما أدى بهم إلى التخبط وعدم التفريق بين السنة والبدعة.

كثير من الأحكام التي يطلقونها حول
نشأة الفرق من المعتزلة وغيرهم
كانت تنطلق من منطلقات فكرية
فلسفية غربية هي وليدة مجتمعاتها
وظروفها، ولا يصح سحبها على تاريخ
المسلمين.

عدم تركيزهم على أصول المبتدعة
ومناقشتها على ضوء الوحي، بقدر
تركيزهم على ما يتفق مع أهوائهم
وميولهم الفكرية والسياسية،
ومظاهر المدنية الغربية.

الوقوف في وجه كل من يحاول ضبط
مسار العقل وتحديد مجاله، أو التقليل
من شأن الفلسفات العقلية
والفلاسفة.

الإشادة بمناهج المستشرقين، والنقل
منهم والإحالة عليهم دون تثبيت،
والدعاية لمناهجهم، مع التقليل من
قيمة ما كتبه المسلمون.

٢.

مرويات الإخباريين وما كتبتهم
الطوائف عن نفسها
وعن خصومها

اهتم بعض أصحاب الاتجاه العقلي المعاصر
بأحياء تراث الفرق الضالة، وكل فرقة أو مذهب
عندما يتناول دراسة الأديان والفرق والمقالات؛
فإنه غالباً ما يتناولها على ضوء منهجه المبني
على مذهبه العقدي.

وغالبا ما كان اهتمامهم بتراث أهل البدع ينطلق من دافع الفضول والشك في صحة ما يُنسب إليهم، كما اتخذ رجوعهم لكتب المقالات أشكالا من الانتقائية المتأثرة بالاستشراق والمدارس الغربية، وكان من مفاسد ذلك أن عرضوا الفتن والشبهات دون الرد عليها، فصاروا بذلك دعاة فتنة. وقد دعوا إلى تقبل تراث الفرق من دون معايير شرعية واضحة، باعتبار أن ما خلفته هو تراث مشترك لجميع المسلمين.

ومنهجهم في الأخذ
عن تراث الفرق المبتدعة
القائم على النفعية
والمصلحة والذي يخلط
السنة بالبدعة ويرفض
منهج أهل السنة
والجماعة قد أثر على
المتعصبين له بما يلي:

دفاعهم عن عقائد المعتزلة مع
التشكيك فيما نسبته كبار محققي
أهل السنة إليهم.

ردودهم على أهل السنة والتشنيع
عليهم ظلماً وعدواناً.

نسبة أعلام أهل السنة إلى
الاعتزال.

ع


عزو مقالات أهل البدع إلى أهل السنة.

و

تحريف الحقائق التاريخية.


ر

التشكيك بمناهج علماء الأمة،
والقدح في أمانتهم العلمية.



المبحث الثاني موقف الاتجاه العقلي من أعلام المعتزلة

حظي أعلام ورموز الاعتزال بكثير من عبارات التعظيم، كما حظيت انحرافاتهم باستحسانهم والمبالغة في قيمتها العلمية، بل نسب بعضهم أعلام أهل السنة كالحسن البصري إلى الاعتزال، وهذا من الباطل الذي يجده بعض أصحاب الاتجاه العقلي في كتب المستشرقين، فقد حاول بعضهم أن ينسب الاعتزال إلى أولئك النفر من الصحابة الذي اعتزلوا الفتنة في صفين والجمل، ويعتمد هؤلاء في شبهاتهم على ما كتب بعض أهل المقالات من غير أهل السنة.



المبحث الثالث أسباب احتفاء الاتجاه العقلي بالمعتزلة

اعتقادهم بأن المعتزلة قد استوعبوا ثقافات عصرهم، والمشكلات الفكرية المحيطة بهم، والحقيقة أن غالب ما استوعبه المعتزلة هو بدع ومحدثات من قبلهم من الطوائف، ومن أصحاب الديانات الكافرة الذين تجادلوا معهم أو ناظروهم، وحاولوا أن يطوروها ويلبسوها ثوباً عقلياً.



ووافق ذلك هوىً في نفوس أصحاب الاتجاه
العقلي المنهزمة أمام التفوق المادي الغربي،
والذين رفعوا بسببه من شأن المعتزلة، وأردوا
أن تستفيد الأمة من فكر الفرق والفكر
الغربي، كما استفاد المعتزلة من فكر من
عاصروهم.

إعجابهم بجرأة المعتزلة على تقحم مسائل
الدين. امتدح أصحاب الاتجاه العقلي جرأة
المعتزلة في الخوض في كثير من المسائل
التي تجنبها أهل السنة ورعاً وامتناناً.



ولقد تأثرت مدرسة الشيخ محمد عبده بجرأة
المعتزلة واقتحامهم مسائل دينية بسبب
اعتمادهم على العقل وإهمال النصوص
الشرعية، كما تأثر بذلك المنهج كثير من
الكتاب والمفكرين من بعده، ونلاحظ تلك
الجرأة في إنكارهم بعض المعجزات النبوية،
وإنكار بعض الغيبيات بتأويلها.

نتيجة للاتصال الفكري بين أصحاب الاتجاه
العقلي المعاصر والمعتزلة؛ مارس كثير من
المعاصرين ألواناً من العبث بالدين -تحت
زعم التجديد-، وتجرؤا على علوم الدين،
فنادوا بأمر منها:

أ هدم علوم الآلة والدعوة إلى تجديدها.

ب جعلوا من عقولهم مقياساً في رفض الأحاديث وقبولها، وأن يكون الأساس في قبولها ملاءمتها لمتغيرات العصر الحديث.


ج فتح باب الاجتهاد على مصراعيه بحيث يكون لكل فرد في الأمة.

د رفع القداسة عن منهج السلف، ونفي اختصاصهم بفهم أو علم.

اعتقادهم بأن الفكر الاعتزالي يحمل في طياته وسائل النهضة والتحرر؛ ذلك أن المعتزلة كانوا أول فرقة نادت بسلطان العقل على النقل وحرية إرادة الإنسان، ولقد كان هذا التقديس للعقل من أبرز أسباب إعجاب الاتجاه العقلي الحديث بهم، ولا سيما أنه كان من أهم المبادئ التي قامت عليه فلسفة الحضارة الغربية المعاصرة بعد تخليها عن سلطة رجال الكنيسة.

الفصل الثالث

تأثر الاتجاه العقلي بمنهج
المعتزلة في التعامل مع
مصادر التلقي



المبحث الأول

تأثرهم بمنهج المعتزلة

في التعامل مع القرآن

يعتقد المعتزلة بأن القرآن الكريم هو أهم مصدر تشريعي سمعي، ولهم عناية بالقرآن الكريم من حيث دراسته وتفسيره، لكن تفسيرهم للقرآن خضع لقواعدهم وأصولهم المبتدعة التي كفروا من خالفهم فيها من المسلمين، وكل ما عارض تلك المبادئ والأصول من آيات فإنهم يؤولونها.



وقد سلك أصحاب الاتجاه العقلي المعاصر في تفسير القرآن طريقة شبيهة بطريقة المعتزلة، فأخضعوا كتاب الله لعقولهم لما اعتقدوا أولاً، ثم ذهبوا يستدلون بعد ذلك بالقرآن، ويلوون أعناق نصوصه حتى توافق ما اعتقدوه.

من أبرز ملامح الاتجاه العقلي الإسلامي
المعاصر في موافقة المعتزلة في بعض
مواقفهم من القرآن الكريم ما يلي:

كما رفض المعتزلة تفسير السلف،
وخالفوهم في طريقتهم في التفسير،
كان من أصحاب الاتجاه العقلي من
تذمر من اعتماد منهج السلف في
التفسير، واعتبر منهجهم ظاهرة
زمانية نشأت لحل مشكلات ذلك
العصر، ولم تعد اليوم مناسبة
لمشكلات العصر الحاضر.



ونتيجة للافتقار إلى منهج موزون يضبط التفسير، وقع في تفاسير أصحاب الاتجاه العقلي الاسلامي أنواع من الغلط والشطط، وامتلأت تفاسيرهم بتكلفات شديدة في ربط الوقائع والأحداث القرآنية بأمر بعيدة من غير دليل.

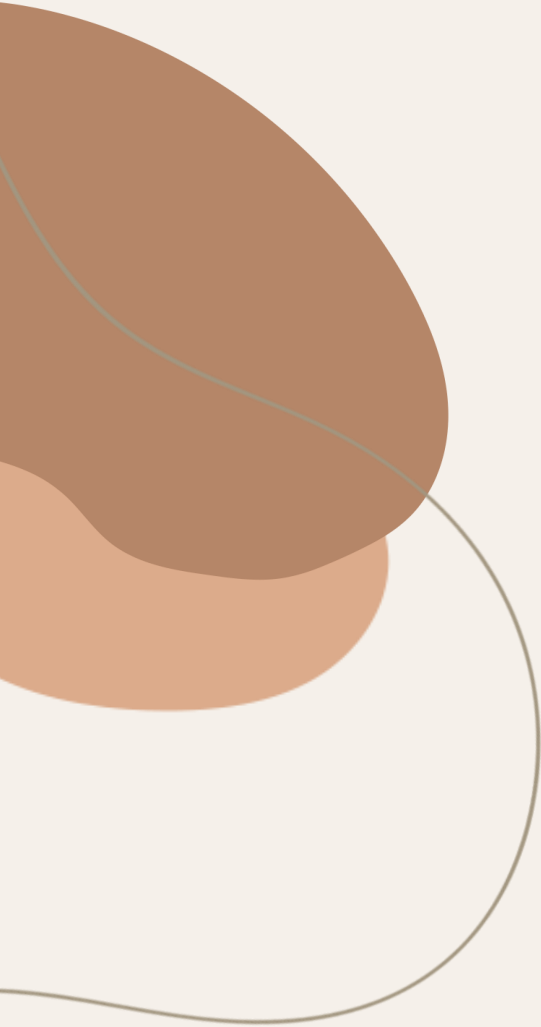
مناقشة ما سبق:

إن هذا النوع من التفسير الذي مارسه الشيخ محمد عبده، ويطالب بمثله بعض المعاصرين، سوف يؤدي إلى آثار وعواقب فكرية تزيد من تخلف الأمة وتفرقتها، وتشغلها بالكلام الباطل عن العمل المفيد.

إن من الضروري أن يفهم القرآن على ضوء
تفسير وفهم الذين مدحهم القرآن وأثنى على
دينهم، فضلاً عن امتلاكهم الأهلية الشرعية
وعلم الآلة الضرورية في تفسير القرآن، وقد
كان السلف رحمهم الله مع تلك الأهلية
يتهيئون الخوض في آيات الله بدون علم.

لقد فتح المعتزلة الباب للاعتراض على الحكم الشرعي أيًا كان مصدره، وتعطيئه إن خالف عقولهم، ولقد تجرأ أصحاب الاتجاه العقلي فوسعوا من دائرة تعطيل أحكام القرآن بأكثر مما عرف عند المعتزلة.





ولتحقيق غايتهم في تعطيل أحكام القرآن
سعى بعضهم إلى نقض القاعدة الفقهية (لا
اجتهاد في مورد النص) واستبدالها بـ(الاجتهاد
سائغ حتى في مورد النصوص القطعية)، وهذه
القاعدة تمهد لفتح الباب أمام محاولات إلغاء
أي حكم شرعي منصوص عليه لا يتفق مع
مبادئ المدنية الغربية.

وسعى آخرون إلى تفسير أحكام القرآن الكريم على أساس أن القرآن كتاب تاريخي، ومن ثم أعمال ما يسمى (بالقراءة التاريخية للنص القرآني)، ويعنون به: تفسير النص القرآني وتحليله وفق معطيات التاريخ والواقع الذي كان سائدًا عند نزوله، ومن ثم قصر دلالة النص وتطبيقه على ذلك الواقع ومعطياته، وعدم تعديلها إلى المراحل التاريخية اللاحقة.

الرد على ما سبق من
شبهات

لما كانت الأحكام الشرعية المتصلة
بمعاملات الناس وعاداتهم قد جاءت لتحقيق
مصالح معينة، وهذه المصالح تتغير في
كثير من الأحيان بسبب تغير الظروف، كان
لا بد - كما يرى أصحاب هذا الاتجاه - أن
تتغير تلك الأحكام ما دام قد تغيرت
مصالحها، ومن هنا تمسكوا بمقولة: **تتغير**
الأحكام بتغير الزمان.


وحقيقة قولهم هذا هو الفصل بين الحكم الشرعي والمصلحة، وجواز تخلفها عن الحكم الشرعي في بعض الأزمان، فيمكن لحكم ما كتعدد الزوجات ومعظم الحدود كحد السرقة أن يتجرد عن المصلحة في زمن ما حسب رأيهم.

ولا شك في بطلان هذا القول، فإن العلماء قد وضعوا للعلل والمقاصد والمصالح سبباً ومسالك بها تُعرف المصلحة سداً لباب الهوى، وأجمعوا على رد المصلحة المخالفة لمقصد الشارع، فإذا خالفت المصلحة نصاً من كتاب أو سنة أو إجماع فهي مصلحة ملغاة وباطلة.

كما أن العقل لا يستقل بإدراك المصالح
والمفاسد، وإلا لما وجد الاختلاف بين الناس
في شرائعهم ونظمهم وطرق معاشهم،
وبالنظر إلى الذين تركوا تحكيم شرع الله
ظناً منهم أن العقل يمكن أن يعرفهم
بمصالحهم نجد أنهم قد تاهوا في
جهالات لا حصر لها.

قولهم **إن الاجتهاد سائغ مع ورود النص**،
فهو معارض لإجماع أهل العلم واتفاقهم
على أنه لا اجتهاد في مورد النص، وكذلك
بالنسبة إلى القياس مع وجود النص، فهم
متفقون على أنه لا قياس في مورد النص.

وأما دعوى **القراءة التاريخية للنص القرآني**،
هي في أصلها دعوة علمانية سبق إليها
فلاسفة التنوير الغربي واستخدموا هذا
المبدأ في نقد كتبهم المقدسة، وأن الدين
والتدين إنما يمثل مرحلة تاريخية في عمر
التطور البشري.



وإذا كان لهذه الفلسفة بعض المسوغات في
الغرب النصراني فإنها باطلة بالنسبة للقرآن
كتاب الشريعة الخاتمة، ولو طبقنا عليه تلك
الفلسفة لزالَت حجة الله على العباد في
الحساب والجزاء.

أنكر المعتزلة كثيراً من قضايا الغيب،
وسعوا في تأويل النصوص الموجبة
لها، وكثير من أصحاب الاتجاه العقلي
مال إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن
ذلك، سواء منهم من تأثر بالفرق
العقلية القديمة وعلى رأسها المعتزلة،
أو من تأثر منهم بالتيار المادي الذي
هيمن على الثقافة الغربية ثم وجدوا
في مناهج المعتزلة ما يسندون إليه
ميولهم المادية.



ومن أمثلة تأويل أصحاب الاتجاه
العقلي للغيبيات ما رآه محمد
عبده في الملائكة حيث اعتبرها
رمزاً لقوى الطبيعة.

ولا يعتمدون على المعجزات في إثبات نبوة
محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا القرآن،
فسعوا إلى إبراز القرآن على أنه معجزة عقلية،
وتأويل المعجزات الأخرى. وبالغوا في إثبات
بشريته - صلى الله عليه وسلم -، فيذكر اسمه
مجرداً من أوصاف الوحي والرسالة ككتاب
(عبقرية محمد) للعقاد.

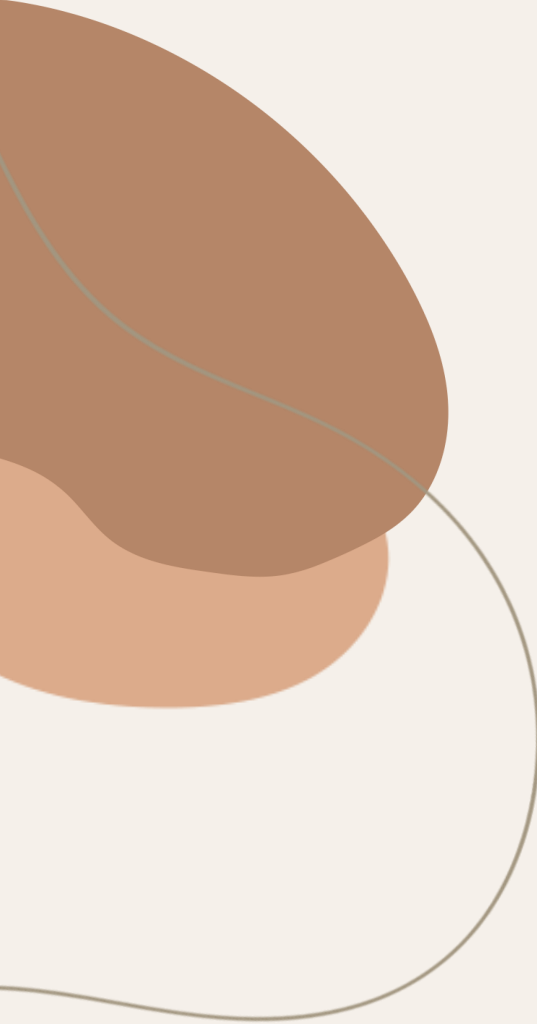
والسبب الذي دفع أصحاب المدرسة
العقلية إلى إنكار ما ثبت من عالم الغيب:
أنهم أرادوا أن يعرضوا الإسلام للغرب
الرافض للغيبات على أنه دين قائم على
العقل والعلم، ولا يخضع للغيبات التي
يحتار فيها العقل، فأعملوا فيها التأويل.

مناقشة قولهم في إنكار الغيبيات:


بالرغم من رفض أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر لما عرف عن الباطنية وغلاة الصوفية وأمثالهم من تأويلات ضالة، إلا أنهم يقعون في جنس هذا المنكر حين يبطلون ظاهر القرآن مع تشكيكهم بالغيب، تقليدًا للمعتزلة وإرضاءً للغربيين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في إثبات المعجزات للنبي -صلى الله عليه وسلم- : (وقد جُمع لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- جميع أنواع المعجزات والخوارق: فمثل أخبار نبينا عن الأنبياء المتقدمين وأممهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب... وكذلك معراجه إلى السماوات).

وأما إنكار ما ورد في شأن المخلوقات الغيبية، فقد قال ابن تيمية: (وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة).



والقول بعبقريّة محمد - صلى الله عليه وسلم - وما
شابه ذلك من أوصاف مع إهمال اختصاصه
بالرسالة ومستلزماتها قد وجد شبهه عند
الفلاسفة من قبل، ومآل قولهم هو نفي امتياز
النبي بشيء لا يقدر عليه غيره والتشكيك في
الوحي، وهو انحراف عما جاء في كتاب الله وسنة
نبيه من اختصاص النبي - صلى الله عليه وسلم -
بأوصاف الرسالة والنبوة، وإجراء المعجزات
الشاهدة على صدق نبوته ورسالته.

A large, teal-colored abstract shape with a white outline, resembling a stylized leaf or a drop, is positioned on the left side of the page.

المبحث الثاني

تأثرهم بمنهج المعتزلة

في التعامل مع السنة

السنة هي المصدر العقدي والتشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وهي مبينة وشارحة له، تفصّل مجمله، وتوضّح مشكله، وتقيّد مطلقه، وتخصّص عامه، وتضيف أحكاماً لم ترد فيه، وهي حجة يجب العمل بمقتضاها إذا ثبتت روايتها عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفق الضوابط التي اصطلح عليها أهل العلم.

مذهب جمهور المعتزلة هو الأخذ بالأحاديث النبوية، ولم يكن مذهب عامتهم رد الأحاديث جملة، خلافاً للنظام، لكنهم ينكرون ما يعارض أصولهم من أحاديث، ولا يتورعون عن إلصاق التهم بأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وخالفوا إجماع الأمة على إفادة الخبر المتواتر القطع، وأما خبر الواحد فقد خالفوا جمهور المسلمين فقطعوا بعدم إفادته العلم، وأنكروا حجيته.

أصحاب الاتجاه العقلي كالمعتزلة في تعدد صور
رفضهم للسنة النبوية، وخالفوا جمهور أهل السنة
في كثير من الأحكام المتعلقة بالرواية وطرق
ثبوتها، وطالبوا بعدم الاغترار بأسماء رجال السنة
ورواة الحديث، فالعبرة بحكم العقل على هذا النص
المروي، وأحيوا ما ابتدعه المعتزلة من عدم جواز
الأخذ بخبر الواحد في موضوع الدين والعقائد، ونادوا
بعرض الأحاديث على الكتاب فما وافق القرآن قبلوه
وما خالفه رفضوه.

من ملامح تأثرهم بالمعتزلة في رد السنة ما يلي:

إنكار أحاديث صحيحة والتشكيك
فيها, بالرغم من وجودها في الصحاح:

من ذلك تشكيك الشيخ محمد عبده في
ثبوت حديث سحر لبيد بن الأعصم لرسول
الله - صلى الله عليه وسلم - الوارد في
البخاري، وأنكر تلميذه الشيخ رشيد رضا
حديث انشقاق القمر وطعن في أسانيده مع
أن البخاري ومسلم قد اتفقا على تخريجه.

مناقشة ما سبق:

١

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي أحد أقسام الوحي الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا فهي وثيقة الصلة بالقرآن.

٢

القول بضرورة عرض الحديث على القرآن، فإن وافقه أخذوا به، وإن عارضه ردوه هي حيلة يلجأون إليها إذا ما بيَّتوا رد أحكام السنة وإنكارها؛ لعدم موافقتها لأهوائهم.

٣

القول بأن القرآن يكفي عن السنة قول باطل، والاقتصار على القرآن دون السنة انحراف حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن؛ فهي مبينة له ومفصلة لمجمله.

٤

إن حال أصحاب هذا الاتجاه في تكذيبهم للأحاديث لا يستند إلى قواعد علمية، بل واقع حالهم هو تقديم عقولهم القاصرة على النصوص الشرعية، وضرب النصوص بعضها ببعض ثم إسقاطها.

المتون التي ظاهرها التعارض
يُجمع بينها بما هو معروف من
طريقة أهل العلم، دون الحاجة
إلى إبطال شيء من النصوص
الشرعية أو التشكيك في
ثبوتها.

رد حديث الآحاد:

ردُّ أصحاب هذا الاتجاه كل رواية في العقائد أو الغيب لا تتوافق مع عقولهم، بحجة أنها خبر واحد، وخبر الآحاد يفيد الظن، والأخبار الظنية لا يجوز الاحتجاج بها في المسائل القطعية، وهو منهج المعتزلة قبلهم، وبناء على هذه القاعدة أبطل كثير من الكتاب المعاصرين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء: محمد الغزالي ومحمد عمارة وجمال البنا.

٢

من ملامح
تأثرهم
بالمعتزلة
في رد السنة
ما يلي:

مناقشة ما سبق

١

أجمع أهل العلم على قبول خبر الواحد، ولم يكن بينهم من يدعو إلى بدعة إهماله إذا احتفت به قرائن ثبوته، فإذا احتفت به القرائن أفاد العلم اليقيني عند جماهير الأصوليين.

٢

لم يكن سلف الأمة يفرقون بين حديث الأحاد في أمور العقيدة وغيرها، فقد كان الرسول يرسل أحادًا من أصحابه إلى القبائل لتلقيهم الدين؛ أصوله وفروعه، ولم يطلب منهم أن يتوقفوا أو يرسلوا من يستوضح الأمر.

٤

إن لرد خبر الواحد، والاقتصار على المتواتر أثارا شنيعة؛ كرد الغالبية العظمى من حديث رسول الله، وهو أيضا يستلزم رد كثير من أحاديث البخاري ومسلم وردهم هذه الأحاديث مخالف للإجماع، وتسفيه لعلماء الإسلام ومحدثيهم.

٣

قبولهم لخبر الأحاد في أحاديث الأحكام فقط هو حجة عليهم؛ إذ أن الأحكام تنطوي على عقيدة، فكل حكم نعمل به نعتقد أن الله تعالى أمر به وشرعه لعباده.

من ملامح
تأثرهم
بالمعتزلة
في رد السنة
ما يلي:

٣

القدح في جهود علماء السنة:

تأثر أصحاب الاتجاه العقلي بأراء
الحاقدين على السنة من المعتزلة
والمستشرقين في موقفهم من علوم
السنة ومناهج أهل الحديث، ويمكن
توضيح موقف الاتجاه العقلي الإسلامي
من زاويتين: موقفهم من الإسناد،
وموقفهم من المتن:

أولًا:

موقفهم من الإسناد:

القدح في عدالة الصحابة، وتعظيم العقل وتقديمه على النصوص الشرعية، والزمع بأن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي، والزمع باحتمال الدس في سلسلة الرواة، والزمع بأن السند جزء اعتباطي في الأحاديث لا قيمة له، وإنكار ما نُقل بالتواتر بحجة أن التناقل الشفهي بين الرواة لا يمكن إثباته.

وقد كانت الدراسات الاستشراقية مصدرًا
لأصحاب الاتجاه العقلي وعلى رأسها ما
كتبه المستشرق (جولد زيهر) لا سيما في
بحثه (دراسات إسلامية).

مناقشة ما سبق

1

المحدثين اعتمدوا في تحقيقهم
للأحاديث على نقد الأسانيد والمتون
معًا، والشواهد على ذلك كثيرة جدًا.

إن قولهم هذا افتراء يدل على جهل صاحبه
بمنزلة أهل الحديث وضبطهم علوم السنة،
فلم يلقَ علم من العلوم الإسلامية في جميع
جوانبه وفروعه ما لقيه علم الحديث من
العناية والاهتمام، بدءاً من عهد الصحابة
رضي الله عنهم أجمعين إلى يومنا هذا.

كان من ثمار جهود المحدثين المباركة نشوء قواعد وأصول الرواية وتصحيح الأخبار ونقدها نقدًا علميًا، حتى عُدَّت هذه القواعد من أصح قواعد البحث العلمي المتعلق بتوثيق الأخبار والنصوص، وهي ميزة لا توجد في تراث أي أمة من أمم الأرض كلها.

ثانيًا:

موقفهم من المتن:

ادّعى بعض أصحاب الاتجاه العقلي الاسلامي أن المحدثين عوّلوا في نقدهم للأحاديث على الأسانيد فقط، مغفلين تمامًا النظر في المتون والألفاظ، وادعأؤهم هيمنة النزعة الشكلية في القاعدة التي انطلقت منها علوم السنة وتوثيق الحديث، وقد سبقهم إلى ذلك المستشرقين وعلى رأسهم جولدزيهر، ووافقهم أحمد أمين وجمال البنا وغيرهم.

ومن موافقات جمال البنا للطاعين في السنة من
المستشرقين؛ اتهامه رواة السنة باختلاق الحديث،
والقبح في عدالتهم ونزاهتهم، كما حاول الجابري أن
يرجع شروط المحدثين في الصحة المعتبرة في الحديث
النبوي إلى عصر التدوين من منتصف القرن الثاني وما
بعده، وجعلها من إبداعات العقل العربي ذلك الحين.

مناقشة ما سبق

القول بأن نقد الحديث رواية ودراية لم يُعرف قبل عصر التدوين غير صحيح، وهو وإن اكتمل وتقدّم في عصر التدوين وما بعده، فهو ليس من ابتكاراته كلية؛ لأن بداياته وأصوله الأساسية، تعود إلى زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته رضوان الله عليهم قبل عصر التدوين.

لم يدخر المحدثون جهداً في نقد المتون والكشف عنها كما فعلوا تماماً مع الأسانيد، ثم قرروا قاعدتهم المعروفة، وهي: أنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن، مما يؤكد أنهم لم يُغفلوا متن الحديث وهم يبحثون شروط الأحاديث الصحيحة، كما أنهم وضعوا قواعد كلية يعرف بها وضع الحديث، معظم هذه القواعد يتعلق بالمتن.

ما أثاره أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي من شبهات وشكوك حول جهود العلماء في حفظ السنة لم تنطلق من مبدأ علمي، بل من مجرد دعاوى لم تسلم من تقليد المستشرقين والمعتزلة.

من ملامح
تأثرهم
بالمعتزلة
في رد السنة
ما يلي:

٤

تأويل نصوص السنة:

سلك أصحاب هذا الاتجاه مسالك أهل
التأويل مع كل حديث لا يتفق مع
أصولهم العقلية أو مع متطلبات
المدنية الحديثة، تماما كما فعل
المعتزلة من قبل، ومن الأمثلة على
ذلك: تأويلات محمود أبو رية في كتابه
(أضواء على السنة المحمدية) لجملة من
أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-
وافق فيها رأي المعتزلة.

من ملامح تأثرهم بالمعتزلة في رد السنة ما يلي:

٥

تعطيل الأحكام الثابتة في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-:

يقرر معظم أصحاب الاتجاه العقلي أن مفهوم السنة يعني: أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- اجتهد بما يتلاءم مع ظروف شبه جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي، وأن وظيفته الأساسية هي التبليغ والبيان وليس التشريع، والمُرجح في اختياره الحكم هو المصلحة ومقتضيات العصر، ويعتقدون أن الطاعة الواجبة للنبي -صلى الله عليه وسلم- ليست طاعة دينية وإنما هي شبيهة بطاعة الطالب لأستاذه.

ويتذرع بعضهم في رد السنة بأن القرآن أولى
بالاتباع، ومن المعلوم أن معارضة السنة
بالقرآن مذهب تبناه الخوارج والمعتزلة
قديمًا.

تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية:

جعلوا نصوص السنة على قسمين من حيث الإلزام والأخذ بها، ومن قال بهذا التقسيم محمد رشيد رضا، محمد الغزالي، ومحمد سليم العوا، ويوسف القرضاوي ومحمد عمارة وغيرهم.

فالصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات،
وقضايا العقيدة الأساسية من السنة العملية
أو التشريعية، فهذه يوجبون الأخذ بها،
والأحاديث التي تتحدث عن الخلافة والقضاء
وحال المرأة ونحوها هي من قبيل السنة غير
العملية أو غير التشريعية، وهذه عندهم لا
يلزم الأخذ بها.

وهي دعوة صريحة إلى رد الأحكام وتعطيل
الشريعة، وترك العمل بها والتحاكم إليها، ثم
إلى تفسير القرآن والسنة بالتفسيرات الشاذة
التي توافق أهواءهم، ثم إلى تركها وراءهم
ظهرياً.

ومن أشهر أدلتهم التي تعلقوا بها في سبيل إبطال الأحكام الشرعية، وإثبات هذا التقسيم المُحدَث، حديث الرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(أنتم أعلم بأمر دنياكم)**، ولم أقف على كلام صريح للمعتزلة في تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية، إلا أن كلا الطرفين لهما غاية واحدة وهي تعطيل السنة، وإن اختلفوا في وسيلة ذلك التعطيل.

مناقشة ما سبق

١

إن الموقف السائد بين عموم المسلمين تجاه سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - هو التعظيم لها وتوقيرها، ونفورهم بالفطرة من الطاعنين فيها.

تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية،
تقسيم باطل لا يستند إلى دليل، بل الدليل من
الكتاب والسنة والإجماع على أن كل ما أقر عليه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قول أو
فعل أو تقرير ولم ينسخ فهو شرع يتعبد به.

تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية له آثار سيئة منها:

٣

إطلاق للعقل
دون اعتبار
للسنة، فيتعطل
الحكم بما أنزل
الله.

٢

الوقوع في
برائن العلمانية
وتعطيل
الشريعة

١

الإعراض عن
كثير من
الأحاديث
الصحيحة


ومما يبين بطلان هذا التقسيم:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يُفرِّق بين سنة تشريعية وغير تشريعية، وهذا مما تتوفر الدواعي إليه وتدعو الحاجة إلى بيانه.

عدم ورود هذا التقسيم عند الصحابة والتابعين وأئمة الاجتهاد والفقهاء على طول زمانهم، وتنوع أقوالهم، واختلاف اجتهاداتهم، ورد بعضهم على بعض.

وأما بخصوص استدلالهم بحديث (أنتم أعلم بأمر
دنياكم) فالحديث واضح وصريح لا يعارض نصاً، ولا
يعارض عصمته -صلى الله عليه وسلم- في
اجتهاده، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في
كل شأن، كما لا يدل على أن السنة النبوية ليست
كلها وحي، فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن
الله، ولم يسن في ذلك سنة حتى يتوسع في هذا
المعنى إلى ما يهدم به أصل التشريع.





المبحث الثالث

تأثرهم بمنهج المعتزلة في التعامل مع العقل

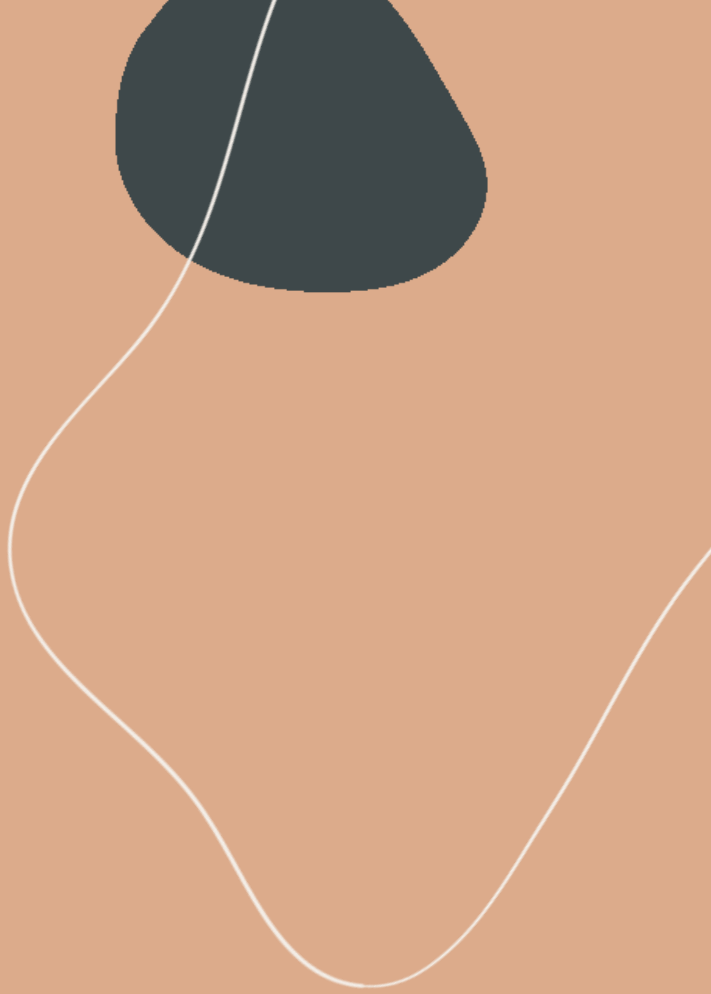
سار أصحاب هذا الاتجاه على خطأ من سبق
من أهل الكلام والفلسفة في جعل العقل
مبدأ أصول العلم، والوحي تابعاً له، فحكّموا
العقل في نصوص الشرع، ولم يقبلوا منها
إلا ما أيده العقل ورفضوا ما عارضه.

تعتبر المعتزلة من أبرز الفرق التي غلت في تعظيم العقل، حتى جعلوا مرتبته سابقة عندهم على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويرون أن أول واجب على المكلف، هو النظر العقلي المؤدي إلى معرفة الله، وأجمعوا على أن المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، والعدل ما يقتضيه العقل من الحكمة، ووضعوا الرسل تحت مجهر العقل لأنهم بشر.

تأثر الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر بموقف المعتزلة من العقل

ظهرت النزعة العقلية عند مؤسس
المدرسة العقلية الحديثة الشيخ محمد
عبده في معظم مباحث الدين، كما حاول
أن يطوِّع هذه النزعة في محاولات التوفيق
بين فرق المسلمين.

وقد طَبَّقَ عملياً هذا الجمع بين العقل والنقل
عندما وضع للنص حدوداً معينة، هذه الحدود
هي الحدود التي لا يعارض بها النص العقل،
فإذا تعارضاً قدم العقل، وأعمل التأويل في النص
على طريقة المتكلمين. ويلاحظ شدة الشبه بين
موقفه من العقل، وما عُرف عند المعتزلة، بل
تكاد تتطابق عباراتهم في ذلك الغلو.



وهذا الموقف من العقل هو ما طبقه أصحاب
الاتجاه العقلي المعاصر من بعده، فلقد حصروا
التجديد الديني بإعمال العقل في النصوص
إنكاراً وتأويلاً على طريقتهم وطريقة المعتزلة.

من مظاهر ذلك الغلو والتعظيم للعقل ما يلي:

٣

الانحراف في منزلة العقل من الدين وجعله أصلاً حاكماً عليه.

٢

تنقص وازدراء منهج السلف القائم على اعتماد نصوص الوحي وتقديما على العقل، ووصفهم بالتعصب والجمود.

١

التمجيد والثناء على مؤسسي ومروجي بدعة تقديم العقل على النقل.

مناقشة ما سبق

لقد وضع العلماء شروطاً للاجتهاد، وأكدوا على أهميتها وضرورتها للمجتهد، وبغيرها يستحيل عليه أن يتمكن من الاجتهاد والفتيا في أي مسألة.


اللّٰهُ يَأْمُرُنَا بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ مِنَّا وَهُمْ الْعُلَمَاءُ، فَمَاذَا
تَعْنِي طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ إِذَا كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عُلَمَاءَ؟
وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣] ،
أَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ دَرَجَاتٌ فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ؟
وَهَذَا مِنْ أَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ.

منهج السلف القائم على التسليم لما جاء به الوحي، يعطي العقل دوره الحقيقي، ويرفض الخوض في الأمور الغيبية مما لا مجال للعقل فيه.

لم يكن لتأسيس هذا الموقف من العقل في وقتنا المعاصر أي مستند شرعي، بل كان ردة فعل شبيهة إلى حد كبير بردود الأفعال التي أفرزت لنا المذاهب العقدية القديمة. إن إطلاق الحرية للعقل من دون قيد يؤدي حتما إلى ظهور الفرق وكثرتها، ومن ثم تمزيق الأمة في عقيدتها وأمام أعدائها.

الفصل الرابع

موقف الاتجاه العقلي الإسلامي
المعاصر من أصول المعتزلة



المبحث الأول

موقف أهل السنة والجماعة

من أصول المعتزلة

وضع المعتزلة لأنفسهم أصولاً خمسة تدور حولها عقائدهم، وهم مع كثرة طوائفهم إلا أنهم يجتمعون على تلك الأصول، ولا يكون الشخص معتزلياً حتى يؤمن بهذه الأصول كلها مجتمعة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويمكن إجمال أبرز ملامح موقف أهل السنة والجماعة فيما يلي:


١

لما كانت أصول المعتزلة الخمسة أصولاً كلامية باطلة ستروها خلف مصطلحات شرعية، جاء تحذير السلف من استعمال أهل الباطل للمصطلحات الشرعية، و تحريف مدلولاتها، وقلب حقائقها بما يتفق مع أهوائهم.

٢

لما كانت هذه الأصول لم تصدر عن الوحي بل صدرت في كثير منها عن ديانات محرفة وفلسفات وثنية، انبرى أهل السنة والجماعة لكشف ما تضمنته من الباطل وبيان بعدها عن الكتاب والسنة.

بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
الْإِيمَانَ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ
مُسْتَنْدِينَ فِي ذَلِكَ إِلَى
النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ وَطَرِيقَةِ
السَّلَفِ فِي بَيَانِ أَصُولِ
الدِّينِ.



المبحث الثاني

موقف الاتجاه العقلي

المعاصر من التوحيد

غالى المعتزلة في التوحيد والتنزيه حتى وقعوا
في المحذور، فأدخلوا تحت أصل التوحيد أربع
ضلالات هي: نفي الصفات الذاتية، وتأويل
الصفات الخبرية، والقول بخلق القرآن، ونفي
رؤية الله تعالى مطلقاً، وتكاد تجمع على هذه
الآراء كل فرق المعتزلة.

الخطأ في فهم معنى التوحيد وأهميته:

فسر أصحاب الاتجاه العقلي التوحيد بتفسيرات ناقصة وليست في كتاب الله ولا سنة رسوله، فهم عندما عرفوا التوحيد حصروه في باب الصفات، كما فعل أهل الكلام والمعتزلة من قبل، أما توحيد العبادة الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فلا تكاد تجد له ذكراً في كتبهم.

وقد أعجب بعض المعاصرين بما شغل به المعتزلة أنفسهم، فانعكس جهل المعتزلة بالتوحيد على حالهم، فكان من صور جهلهم بالتوحيد ما يلي:

وبمفهومهم للتجديد في التوحيد
يكون التجديد قد فقد أصلاً من أصوله
التي بينها السلف، وهو ضرورة استناده
إلى الكتاب والسنة وانطلاقه منهما، لا
من مناهج المتكلمين التي ألهمت
العقل والفلسفة.

الانحراف في الأسماء والصفات، وقد تمثل ذلك في:

- الجهل بالله وصفاته، والإعراض في معرفتها عن الكتاب والسنة.
- وصف الله بما لم يصف به نفسه، ومعلوم من مذهب أهل السنة والجماعة أن أسماء الباري تعالى توقيفية.

- **تأويل الصفات، وقد تكلم العلماء
حول جناية التأويل الباطل على
الإسلام وأهله.**

من صور جهل
المعتزلة بالتوحيد
ما يلي:

٣

القول بخلق القرآن:

للقول بخلق القرآن الذي ابتدعه
المعتزلة صدى في فكر أصحاب الاتجاه
العقلي المعاصر، ولا ريب أن القول بخلق
القرآن يقلل من قدسية نصوصه بل
يجعله نصاً بشرياً من حيث الصياغة
والنظم، ومن ثم يفتح الباب على
مصراعيه لنقده والنظر العقلي التأويلي
في آياته.

سوء فهم مذهب السلف في الأسماء والصفات:

هذا من أبرز مشكلات الكُتَّاب
المحدثين، فقد نسب العقلايون القول
بالتفويض في باب الأسماء والصفات
إلى السلف، وهذه نسبة ظاهرة
البطلان؛ إذ أن السلف يثبتون الصفات
على حقيقتها دون تأويل، وهم إنما
يفوضون الكيفية، مع القطع بأن
ظاهرها لا يعني التشبيه.

كما جعل بعضهم الأخذ بمنهج السلف أمراً مخالفاً
للقرآن، وعباباً يُعاب عليه كل من يقتفي أثرهم،
وجعل بعضهم العودة إلى منهج السلف أمراً
مستحيلاً وغير ممكن، وانتقدوا السلفية على
وقوفها في وجه التغريب الفكري المتمثل بترات
فلاسفة اليونان، ومن جهل بعضهم امتداح سلفية
الشيخ محمد عبده التي تقوم على تقديم العقل
على النص والتوسع في التأويل.

نقد العقلاانيين لخصائص الفكر
السلفي في العصر الحديث يمكن
إجمالها في:

الإيمان بالمذاهب الأربعة والالتزام باتباعها تقليدًا.

الالتزام بما جاء في التفاسير المعتمدة لفهم القرآن واستمداد أحكامه والالتزام بعلوم القرآن.

الأخذ بمعايير المحدثين في مجال الرواية والدراية وعلل الرجال والجرح والتعديل.

الالتزام بسيرة السلف الصالح واعتبارهم المثل الأعلى.

والكلام السابق يحتاج إلى وقفات:

٢


يرجع أتباع السلف إلى تفاسير السلف الصالح كما يرجع غيرهم إلى تفاسير أهل البدع والأهواء ولهم عناية خاصة بتفسير الصحابة لأن قولهم في كتاب الله أقرب إلى الحق من كل من جاء بعدهم.

١

لم يقل أحد من السلف إن الواجب على الأمة أن تتمذهب بأحد المذاهب الأربعة أو غيرها بل هم يقفون على ما أوجبه الله في كتابه.



أنكر المعتزلة النسخ مع طول
باع كثير منهم في علوم الآلة
واللغة - وهو ما لا نرى مثله
عند العقلانيين المعاصرين -
لكنهم ضلوا في ذلك وخالفوا
النصوص الشرعية القاطعة
بوقوع النسخ وخالفوا الإجماع.



المبحث الثالث

موقف الاتجاه العقلي

الإسلامي المعاصر من العدل

العدل عند المعتزلة يتعلق بأفعال الله وما يجوز
عليه وما لا يجوز، وقد أعمل المعتزلة عقولهم
القاصرة في هذا الباب حتى انزلقوا وضلوا؛ فراحوا
يوجبون على الله أفعالاً رأوها واجبة وجوباً حقيقياً
تاماً، وادعوا أنه لا يمكن تصور الذات الإلهية إلا من
خلال ذلك وفرعوا على هذا الأصل مسائل؛ منها:

١. نفي القدر:

جعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله خيراً وشرها، لا تؤثر في مقدرته أي عوامل خارجية، وبذلك استحق الثواب والعقاب في الآخرة، فنفوا القدر ظناً منهم أن الإيمان به جبرٌ ينافي مقتضى العدل الإلهي. وقد أثبت الباحثون أن آرائهم في ذلك تسربت من فلسفات وديانات بعيدة عن الإسلام كالزرادشتية والنصرانية والفلسفة اليونانية.

٢. قولهم بالصلاح والأصلح:

رتب المعتزلة على أصل العدل القول بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، فهو بناء على عدله لا يفعل إلا ما فيه صلاح العبد وخيره. وهذا من عجيب قولهم؛ فهم تحت ستار العدل - وبموجب عقولهم القاصرة- يقيدون قدرة الله، بل يوجبون عليه رعاية هذا الأصلح مع أنهم يثبتون للعبد الحرية المطلقة التامة في جميع أعماله إلى درجة نفي القدر.

٣. قـولهم بالحسن والقبح العقليين:

هذه المسألة من مسائل أصل العدل عند المعتزلة؛ فهم يدعون أن الحاكم بالحسن والقبح في الأفعال والأشياء هو العقل حتى وإن لم يرد الشرع بذلك؛ فالحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والعقل وحده قادر على تمييز ذلك بدون حاجة إلى الشرع.

وقد أقر أصحاب الاتجاه العقلي المعاصر بمبادئ
المعتزلة هذه وارتضوها وضخموا من قيمتها
وادعوا أنها تعترف بقيمة الفرد وتقديره لذاته.

أن رأي المعتزلة يتفق مع المناهج الغربية التي لا تؤمن بالغيب، ولا بإرادة خافية عن إدراك البشر، ويدل على ذلك ثناء المستشرقين على قول المعتزلة في القدر تحديداً.

شيوع عقيدة الجبر التي تبناها الأشاعرة وما خلفته من تواكل وسلبية، فما كان من حال من جهل مذهب أهل السنة في القدر تجاه التطرف الجبري إلا الارتقاء في أحضان القدرية من المعتزلة، فقابلوا بدعة الأشعرية ببدعة المعتزلة.

١

٢

ولعل من أبرز الأسباب التي جعلتهم يرتضون مذهب المعتزلة في القدر:

ولم يقف الأمر عند تبني أصحاب الاتجاه العقلي
الإسلامي لبعض آراء المعتزلة، بل نسبوا شيئاً من
البدع إلى أعلام أهل السنة، تقليدًا في ذلك
للمعتزلة أيضاً، مثل الزعم أن الحسن البصري رحمه
الله قال بالقدر، والادعاء أن معاوية رضي الله عنه
أول من قال بالجبر.

تعقيبًا على ما سبق:

مذهب الجبر ليس هو مذهب أهل السنة والجماعة، بل كان السلف يُنفرون منه كما نفروا من مذهب المعتزلة، ونسبة القول في القدر إلى الحسن البصري لا صحة له.

١

يلحظ تحامل أصحاب الاتجاه العقلي على الأمويين أدت إلى تعميم الحكم عليهم بالجبر وشملوا أهل السنة بذلك، بينما تؤكد المصادر أن أهل السنة هم من وقفوا في وجه مقالة الجبر، وأكد ابن تيمية رحمه الله أن أول من قال بالجبر هو الجهم بن صفوان وأتباعه وكان ذلك في أواخر دولة بني أمية بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم.

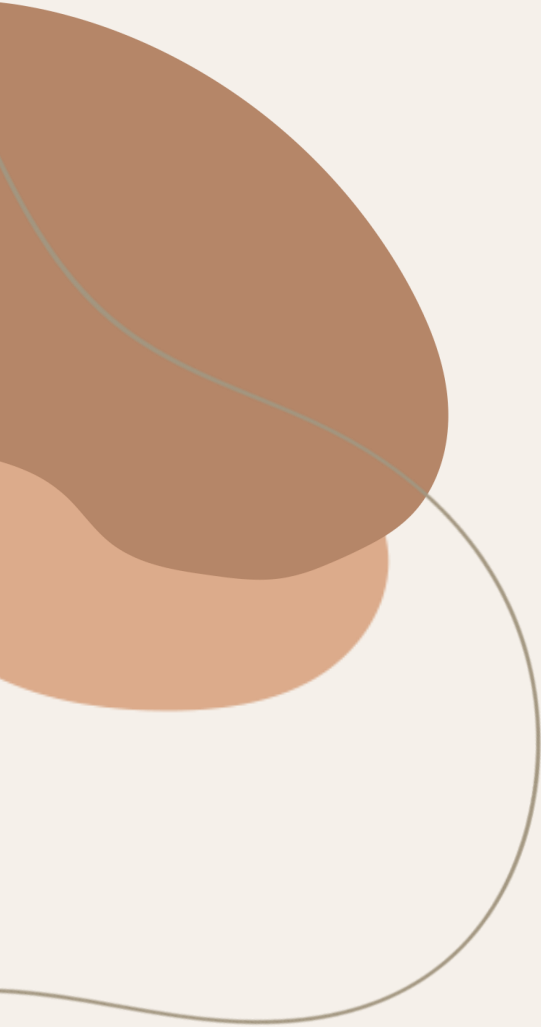
كما أن التضخيم والمبالغة في توصيف فساد
السلطة والمجتمع مع عدم الاعتراف بجهود علماء
السلف في الإصلاح إنما يخفي وراءه تأثيراً ببعض
الفلسفات المادية الغربية في تفسير التاريخ.

الرد على من انحرف في
فهم باب القدر في الإسلام:


إن مما اتفق عليه السلف أن الله خالق كل شيء،
وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل
من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم
مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما
أقدرهم الله عليه، مع قولهم إن العباد لا
يشاءون إلا أن يشاء الله، فالعبد فاعل حقيقة،
والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله.

وقد كان من حجج المعتزلة في أن الله لا يخلق أفعال العباد: أن القول بذلك يستلزم الظلم على الله. وهذا الإلزام غير صحيح، فلا يلزم من خلق الله لأفعال العباد قيامها به، فالأفعال قائمة بفاعلها لأنها صفات، فلا يسلم لهم بأن خلق الله للأفعال يلزم منه قيامها به، وظلمه لمن قام بها من البشر إذا حاسبه على ما قام به.

ولا تعارض بين عدل الله وبين خلق أفعال العباد؛ لأن أفعال العباد خلقاً لله وكسباً للعباد، بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة ومشية وإرادة ولكنها تحت قدرة الله ومشية، ولا يلزم من القول بأن الله هو خالق أفعال العباد أن يكون العبد مجبوراً على أعماله.



وأما ما ورد في ذكر مصائر العباد فالمعنى بيّنه العلماء بما لا يعطل نصّاً على حساب آخر بل يجمع بينهما فقالوا: إن الله عز وجل خلق هؤلاء، وقضى وقدر أنهم يعملون في الدنيا بعمل أهل النار فيكونون إلى النار، وأولئك يعملون في الدنيا بعمل أهل الجنة فيكونون من أهل الجنة، وكل ذلك بأسبابه المقدرّة.



وفي مسألة الصلح والأصلح بيّنوا أنه لا يمكن أن يكون لله تعالى موجب؛ لأن الموجب أعلى من الموجب عليه، وليس هناك موجب فوق الله أوجب عليه، ويثبتون ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على نفسه ويعتبرونه من باب التفضل.



المبحث الرابع

موقفهم من الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

جعل المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خامس أصول مذهبهم، وقد أتت الشريعة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أن المعتزلة خالفوا السلف في فهمهم وتطبيقهم له.

فأما فهمهم له فالمعروف عندهم: ما أجمعوا عليه، والمنكر: ما يراه مخالفوهم. وأما في طريقة تغيير المنكر فقالوا بالخروج على السلاطين وقتالهم، وحمل السلاح في وجوه من خالفهم من المسلمين، وساروا على عكس الحديث الذي بيّن فيه الرسول صلى الله عليه وسلم موقف المسلم إزاء تغيير المنكرات، فتغيير المنكر عندهم يبدأ باللسان ثم باليد ثم بالسيف، وعند السيف لا يكثرثون بوقوع الفتنة واستباحة المحرمات.

وقد اعتنى المستشرقين بهذا الأصل عند
المعتزلة، وما رأه بعضهم أنه كان سببا في
تماسك المعتزلة وقوة شوكتهم ولم يروه
سببا في التفرق، ووقوع المعتزلة في ظلم
أنفسهم وظلم مخالفيهم.

ويركز أصحاب الاتجاه العقلاني المعاصر على الفرق الضالة التي حملت توجهًا أو طموحًا سياسيًا مغلفًا بشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحرصون على إبراز آرائها في السياسة والحكم، وتهكّم بعضهم بمنهج السلف في المنع من قتال الأئمة والخروج عليهم، وسخروا من مروياتهم في وجوب السمع والطاعة، وجعلوا من الأحاديث الثابتة حول السمع والطاعة ولزوم الجماعة وحد الردة موضوعات حُرِّضَ عليها السلاطين واختلقتها أيدي أئمة الدين تحت ظروف سياسية.

مناقشة ما سبق:

مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ
أساس من مبادئ الإسلام، وهو سبب الخيرية
للأمة الإسلامية، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

المعتزلة حين أوجبوا الخروج على السلطان المسلم الجائر خالفوا بذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومذهب أهل السنة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وأن جور السلاطين وارتكابهم المعاصي لا يوجب الخروج عليهم إلا عندما يظهر الكفر منهم صراحة؛ لما يترتب على الخروج عليهم من المفاسد وسفك الدماء وتفريق كلمة الأمة.

مراعاة ألا يخلف إنكار المنكر ما هو شر منه؛ فإذا
كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض
إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، عملاً بقاعدة
درء المفاسد وتحصيل المنافع.

أن تغيير المنكر يبدأ باليد وذلك بمحاولة منع ارتكاب المنكر وليس بقتال من يرتكبه، فإن لم يستطع التغيير باليد؛ فليكن أمره ونهيه باللسان؛ فإن جر فعل اللسان ضرراً أكبر فليكن بالقلب بتمني زوال المنكر وكراهته وبغض أهله.

أهم نقاط الالتقاء بين الاتجاه العقلي المعاصر والمعتزلة:

٣

ممارسة الاستعلاء
الفكري مع أهل
السنة ووصفهم
بالمشيين من
الأوصاف.

٢

تأويل النصوص
الشرعية حين
تعارض مع
معقولاتهم.

١

تقديم العقل
على النقل.

أهم نقاط الالتقاء بين الاتجاه العقلي المعاصر والمعتزلة:

٦

رفض الاحتجاج
بالسنة والتقليل
من أهميتها
وقصر الاحتجاج
على القرآن.

٥

قراءة القرآن
قراءة تجزيئية،
فما وافق قولهم
قُبِلَ وما خالفه رُد.

٤

شذوذ فكر
الطائفتين عن
السواد الأعظم من
المسلمين، حيث
يمثلون الفكر
الوافد الدخيل.

أهم نقاط الالتقاء بين الاتجاه العقلي المعاصر والمعتزلة:


٨

التحايل والتلاعب
بالمصطلحات الشرعية
والمفاهيم، والترويج للبدع
والفساد بوضعه في قوالب
شرعية وإخراجه في قالب
الحق.

٧

الهيمنان في الفكر الوافد
كحب المعتزلة للفلسفة
اليونانية والإغريقية، وحب
المعاصرين للثقافة
الأوروبية وتطوير
النصوص لها وجعلها
المرجعية في التفكير.

الخاتمة

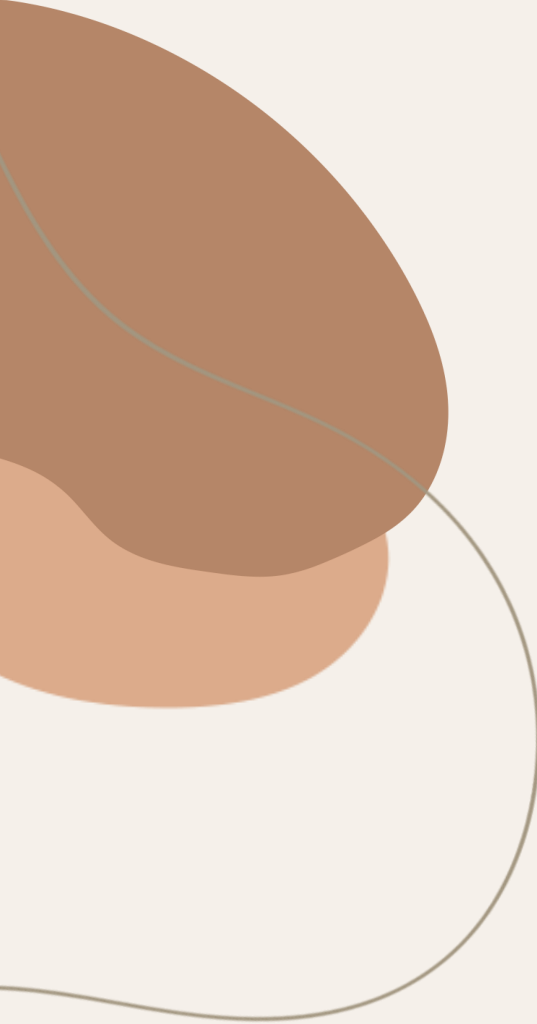


بعد عرض موقف أصحاب الاتجاه العقلي
الإسلامي المعاصر من أقوال المعتزلة
واعتقاداتهم توصل البحث إلى النتائج
التالية:

ثمة عدة عوامل ساهمت في بعث الاتجاه العقلاني؛ أبرزها: الضعف الداخلي، التغريب والثقافة الوافدة على بلاد المسلمين، بعض المؤسسات والمراكز الفكرية والرموز الدعوية والإعلامية.

يتفاوت الإسلاميون في تأثرهم بهذا الاتجاه بين أكثر ومقل، وهذا التباين يستلزم التفريق بينهم بحسب أحوالهم ويستدعي التنويع في العلاج والإصلاح.

لا يُعد ظهور الاتجاه العقلي المعاصر أمراً محدثاً في تاريخ المسلمين؛ بل هو امتداد حقيقي لمنهج المعتزلة وإحياء له.



الاختلاف والافتراق ليس مقصدًا شرعيًا إذ
النصوص الشرعية قاطعة بذمه والتحذير من
أسبابه، وأدلة وقوع الافتراق إنما تُفهم على
الوجه الصحيح المقتضي تحريم الاختلاف،
واجتناب أسبابه، والاحتساب على أصحابه،
والاعتبار بمن سلف.

ظهور الهزيمة النفسية والفكرية في كثير من كتابات أصحاب الاتجاه العقلي؛ فهم: يُسلمون بأراء المستشرقين في دراستهم للمعتزلة، ويتحيزون إلى بعض مقالاتهم ويبررونها، في حين أنهم يشككون في نزاهة من كتب حول الفرق من أئمة الإسلام ويتهمونهم بالتعصب، كما أنهم يبرزون أهل البدع ويضخمون آثارهم.

ادعاء أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر أن مذهب المعتزلة يحوي جملة من الصفات الضرورية للنهوض بالأمة؛ ظاهر البطلان، إذ من تلك الصفات ما هو ذم لهم على الحقيقة وليس فيه محمودة، وما اتصفوا به من المحامد فأهل السنة كانوا أسبق إليه وهم أولى به.

التقاء أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر
مع المعتزلة في الافتتان بالوافد الفكري الدخيل
والإعراض عن الالتزام بما دل عليه الوحي.

شذوذ أفكار المعتزلة وأصحاب الاتجاه العقلي
الإسلامي المعاصر، ونأيهم عن فكر السواد
الأعظم من المسلمين.

ظهور تأثير أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي
المعاصر بكثير من أصول المعتزلة ومنهجهم،
ومن القواسم المشتركة في المنهج بين
الطائفتين:

- تأويل النصوص الشرعية حين تتعارض مع
معقولاتهم وتقديم العقل على النقل.
- الاستعلاء على منهج السلف وغمز أصحابه
ووصفهم بالمشيين.

- رفض السنة وتهميشها وقصر الاحتجاج على القرآن، ووضع أصول مبتدعة في تفسيره ومعارضة كثير مما دلت عليه النصوص الشرعية بالأهواء.
- إنكار أحاديث الأحاد، والطعن في جهود علماء الإسلام في حفظ السنة والقبح في أصول وقواعد المحدثين.
- النظر في النصوص بعين عوراء فما وافق قولهم تعلقوا به وما خالفه ردوه.
- التلاعب بالمصطلحات والألفاظ؛ باستعمال مصطلحات موهمة وكلمات حق لتقرير الباطل وتزيينه.

التوصيات والمقترحات:

أهمية رصد ودراسة المراكز والمؤسسات التي تدعم هذا الاتجاه الدخيل على الأمة، والاحتساب عليها وبيان موقف الشرع مما تدعوا إليه.

العدل في التعامل مع أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي لتباينهم في الأخذ بالمنهج العقلي، وهذا يقتضي التفريق بين أفرادهِ والتنويع في العلاج كل بحسب حالهِ.

دراسة العلاقة بين آراء أصحاب الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر وما كتبه المستشرقون في جوانب الدين المختلفة.

تم بحمد الله



استشارات تربوية وتعليمية
Educational Consulting



كانب وكتاب